أسباب مشكلة التبول اللاإرادى

اهتم الإنسان منذ أقدم العصور بدراسة أسباب التبول اللاإرادى وعلاجها، فقد اشارت الدراسات الانثربولوجية إلى أن الناس عرفوا مشكلة التبول اللاإرادى منذ حوال ٣٠٠٠ سنة وأعتقد آنذاك أن سببها حلول روح شريرة بأجسام الأطفال، فضربوهم بقسوة وكووهم بالنار والحديد لإرغام هذه الأرواح على الخروج من أجسامهم.

كما أشارت الدراسات إلى أن بعض القبائل البدائية فى جنوب أفريقيا تعتقد حتى الآن أن تبول الأطفال لا إرادياً سببه وجود دم فاسد فى أجسامهم، ويعالجونه بفتح ثقب فى أعلى الصدغ لفصد هذا الدم.

وساد اعتقاد فى القرن التاسع عشر بأن تبول الأطفال لاإرادياً سببه ضعف عضوى فى المثانة أو أمراض فى المسالك البولية والكليتين، وعالجوها بالأدوية والعقاقير الطبية ويمكن اعتبار ظاهرة التبول اللاإرادى ذات شقين أحدهما فسيولوجى والآخر نفسي فقد يكون هناك عجز عن ضبط الجهاز البولى من الوجهة الفسيولوجية وعدم التحكم فى عضلات المثانة مع الأخذ فى الاعتبار للفروق الفردية القائمة بين الأطفال، ففى حين يمتلع بعض الأطفال عن ذلك فى سن مبكرة، يتأخر البعض الآخر منهم إلى مرحلة متأخرة تصل أحياناً إلى سن المراهقة. والتبول اللاإرادى حتى سن الثالثة والنصف لا يمكن أن يعتبر حالة مرضية كما ذكرنا سابقاً لكن بعد هذا السن يجب البحث عن السبب سيكولوجياً كان أو فسيولوجيا.

وعندما يتبول الطفل فى فراشه ليلاً فإن كثيراً من الآباء لا يدركون الطريقة الصحيحة للتصرف إزاء هذه الظاهرة فقد يعاقب الأب طفله عندما يكتشف فى الصباح أن هذا الطفل قد بلل فراشه وملابسه ولكن الموقف مع هذا يتكرر كل صباح بالرغم من العقاب الذى يوقعه الأب بابنه وبالرغم من أن هذا العقاب قد يكون شديداً فى كثيرمن الأحيان وتزداد حيرة الوالد ويزداد قلقه وقد يلجأ فى النهاية إلى كل أنواع السخرية والهوان يلحقها بطفلة مشركًا فى ذلك باقى أفراد الأسرة فيصفون الطفل بصفات السوء ويستخدمون ألفاظاً بديلة عن اسمه تشير إلى أنه لا يضبط عملية تبوله. وقد يلجأ بعض الآباء الآخرين إلى سلوك أكثر حكمة فيعرضون طفلهم على الطبيب ليضع حدا للحالة والتى ظهرت على طفلهم وهنا تتحول المسألة إلى قدرة الطبيب المعالج على فحص الحالة والتوجيه طبقا لنتيجة هذا الفحص فقد يكتفى الطبيب بإعطاء بعض العقاقير وقد تستجيب الحالة لهذا النوع من العلاج أو قد لا تستجيب يقول أحد الآباء أن أشد ما يزعجنى الآن هو تبول طفلنا أثنا نومه فيبلل ملابسه وفراشه ونضطر بهذا إلى تغيير كل ملابسه وفراشه فى الصباح كما نضطر أيضا إلى تغيير سائر الملاءات وتجفيف الفراش فى الشمس وقد تكررت هذه الظاهرة حتى ضقنا ذرعاً بها وأصبحت تحتل جزءا كبيرا من تفكير الأسرة فنعمد مثلاً إلى ارغامه على التبول قبل أن يأوى إلى فراشه سواء أكانت لديه رغبة فى ذلك أم لا كما نضطر أحيانا إلى ايقاظه أثناء نوم وارغامه على التبول لنتفادى بذلك بلله لفراشه وملابسه وقد التمسنا معونة صديق لنا طبيب مختص فى الأمراض الباطنية فوصف لطفلنا بعض العقاقير ولكنها لم تؤت بأى نتيجة واستمر

طفلنا على عادته المرذولة وأخيرا اضطررنا إلى توقيع العقاب عليه حتى يقلع عن هذه العادة ولكن المشكلة زادت وتفاقمت فبعد أن كان يبلل فراشه في بعض أيام الأسبوع فقط أصبحت هذه العادة تشمل الأسبوع كله.

إن طفلنا يبلغ حوالى السادسة من عمره وقد مضى الوقت الذى كان فيه لا يضبط عملية تبوله أيام أن كان طفلاً رضيعًا وأصبح الآن وقد بلغ السادسة كسائر الأطفال الذين عليهم أن يضبطوا أنفسهم وأن يسيطروا على إراداتهم وأن يتحكموا فى عملية الإخراج ولكنه شذ عن هذه القاعدة العامة وأصبح سلوكه كطفل رضيع لا يقوى على ضبط نفسه فيتبول أثناء نومه مع أنه لا يسلك نفس السلوك أثناء يقظته.

وفى أحد مواقع الانترنت أوضحت د. رابية إبراهيم (تخصص الطب النفسى للأطفال) جامعة لندن - المملكة المتحدة ما يأتى:

يعتبر التبول اللاإرادى أو سلس البول الليلى من الأمراض التى تسبب مشاكل نفسية واجتماعية عديدة للأطفال وذويهم وهو من الأمراض الشائعة بعكس ما يتصور البعض وللأسف لا توجد إحصاءات دقيقة فى عالمنا العربى بخصوص هذا الموضوع فالوالدين يعتبرا هذا الموضوع عار ويحاولان التستر عليه ويكفى أن نعرف أن فى الولايات المتحدة يعانى من هذا المرض ما بين ٥ - ٧ مليون طفل.

عادة ما يحدث تحكم بالبول - جفاف - بالنهار خلال السنة الثانية من عمر الطفل وأثناء الليل خلال السنة الرابعة وذلك بسبب نضج الجهاز العصبى.

إن مشكلة التبول شائعة.. حدوثها بنسبة ١٠ ٪ فى الأطفال الصغار.. ولكن العمر الذى عنده تعتبر المشكلة مرضية (عند عمر الخمس سنوات فأكثر).

إن التحكم الطبيعى للمثانة يكتسب بطريقة تدريجية واكتساب هذا التحكم يعتمد على عدة أمور منها التطور العقلى - العصلى.. العاطفى وأيضا التدريب على استعمال الحمام مبكرا. فأى تأخر مما ذكر.. قد يؤدى إلى تأخر فى اكتساب التحكم فى المثانة.

أيضا يلعب العامل الوراثى دورا هاماً حيث أكدت الاحصائيات أن ٧٥ ٪ من الأطفال المصابين بالتبول اللاإرادى لهم آباء أو أمهات كانوا مصابين بذلك عند الصغر. ومن الأسباب أيضا أن بعض الأطفال لديهم مثانة حجمها طبيعى ولكن وظيفتها ذات حجم صغير.. بمعنى آخر أن الطفل لا يستطيع أن يحبس كمية كبيرة من البول فترة طويلة فتراه يتردد على الحمام بكثرة فى النار.

- وأظهرت دراسات أخرى وجود نقص فى هرمون ANT DIURTIC HORMONE فى فترة الليل وهذا الهرمون يتحكم فى عملية البول. كما أن الضغط والتوتر النفسى عند الأطفال يسبب التبول اللاإرادى خاصة فى الظروف التالية:

- مثل ولادة طفل جديد فى العائلة.

- بداية ذهاب الطفل إلى الحضانة.

- تغير المربية أو اختفاء الأم عن الطفل.

أما الأسباب العضوية فهى:

- التهابات فى المثانة وذلك يتم الكشف عنها بإجراء بعض التحاليل المختبرية وتكون مصاحبة فى بعض الأحيان حرقة ورغبة شديدة فى التبول.

- مرض السكر DM.

- الصرع يكون مصاحب فى بعض الأحيان بتبول لاإرادى.

- الأعراض الجانبية لبعض الأدوية.

لقد تعددت وتنوعت أسباب مشكلة التبول اللاإرادى ومنها ما يلى:-

أولاً. الأسباب الجسمية أو العضوية:

إن الواجب الأول فى دراسة حالات التبول اللاإرادى هو الفحص الجسمى الدقيق والشامل، فهناك أسباب جسمية عامة مثل فقر الدم أو الاضطرابات العصبية العامة أو انتشار التوكسينات فى الجسم لوجود بؤرة التوكسين لذا يجب البحث عنها ومعالجتها.

وقد يكون هناك أسباب جسمية محلية كائنة بالجهاز البولى كالكليتين أو المثانة أو مجرى البول أو التهاب المستقيم مثلاً.

ويمكن تقسيم العوامل الجسمانية التى يجب فحصها فى التبول اللاإرادى إلى ما يلى:

- حالة البول ووجوب معرفة ما إذا كانت درجة حموضته عالية أو إذا كان هناك التهاب فى حوض الكلية أو التهاب فى المثانة أو الحالب أو وجود حصوات فى أى جهة من الجهات (الكلية أو الحالب أو المثانة).

- حالة التهاب مجرى البول فى الذكور والإناث.

- كثرة التبول وقد يكون ذلك بسبب مرض السكر بنوعيه (سكر البول أو سكر الدم).

- التهاب المستقيم.

- الإمساك وسوء الضم.

- وجود الديدان المعوية والبلهارسيا والانكلستوما.

- تشوه أو عدم اكتمال نمو الفقرات القطنية والعجزية أو تلف النخاع الشوكى.

- عدم التحام العمود الفقرى فى أجزائه السفلى.

- الحالة العامة كالإنهاك العصبى وفقر الدم ونقص الفيتامينات وغير ذلك.

ويجب علاج الحالة الجسمانية التى يحتمل أن تكون أحد العوامل الأصلية أو المساعدة التى تؤدى إلى التبول اللاإرادى علاجًا حاسمًا عند بدء ظهورها. ومن الجائز أن يستمر التبول حتى بعد علاج العامل الجسمانى بحكم العادة فيجب بعد ذلك العمل على اكتساب العادات اللازمة للتغلب على البول أثناء النوم.

- تهيجات المنطقة التناسلية مثل التهاب فتحة البول الخارجية أو فتحة الشرج أو وجود ديدان تخرج من فتحة الشرج وتتجول فى هذه المنطقة.

- تضخم اللوز أو لحمية خلف الأنف، حيث تسبب للطفل صعوبة في التنفس أثناء النوم مما يؤدى إلى الإجهاد لعدم الراحة والأرق الذى يتسبب في الحاجة إلى الاستغراق في النوم كتعويض مما يؤدى إلى تفريغ المثانة أثناء هذا الاستغراق.
- نقص كمية السوائل بالجسم مما يؤدى إلى تركيز البول وارتفاع نسبة الحموضة فيه.
- شرب كمية كبيرة من السوائل.

وهناك من استعرض الأسباب الفسيولوجية للتبول اللاإرادى كما يأتى:

١. الإدراك:

لكى يستطيع الطفل السيطرة على جهازه البولى يجب أن يصل إلى مرحلة من العمر تساعده على ذلك، ففى عمر الطفولة يدرك أن مثانته قد امتلأت ولكن إدراكه يبقى بنسبة ضئيلة، وحتى حاجته للتبول تبقى بشكل ضئيل ويفرغ هذا التبول بشكل أوتوماتيكى. لكن بين سن السنة والنصف والسنتين والنصف تلاحظ خلال هذه الفترة أن الطفل بدأ يلاحظ امتلاء مثانته وحاجته للتبول، وهكذا يتوقف عن اللعب عند احساسه بهذا الشعور وتجده معبراً عن ذلك بذهابه مسرعاً نحو الحمام وعند هذه النقطة نجده لا يستطيع أن يمنع نفسه من التبول رغم أن صار يشعر بقدوم هذا البول وامتلاء المثانة به، ثم بعد ذلك تنمو قدرته على الإمساك بنفسه والذهاب إلى الحمام وخلع ملابسه ليتبول.

٢.صغر سعة المثانة:

يعتبر معظم الأطفال الذين يواجهون التبول باستمرار أثناء النهار والليل وبقدر قليل أن مثانتهم صغيرة وأقل من العادى وبالتالى تكون قدرتها على حمل البول ضئيلة قليلة الليل، لذلك تفرغ محتوياتها منها عندما تمتلىء وتسبب هذا التبول أثناء الليل.

كما نجد أحياناً أن بعض الأطفال الذين اعتادوا على التبول فى أوقات متقاربة اعتادت مثانتهم على التفريغ وبذلك صار الطفل يشعر بحاجة للتبول وهكذا نجده يتبول ليلاً أيضاً دون أن تكون مثانته قد امتلأت كلياً.

٣.أسباب عضوية أخرى:

- العيوب التشريحية مثل وجود خلل عضوى فى الجهاز البولى مثل التهاب المثانة ومجرى البول أو الجهاز الهضمى، واضطراب الجهاز العصبى وحساسيته والضعف الجسمى العام، وقد تصاحب اضطرابات الإخراج اضطرابات أخرى مثل الصداع.
- من الأسباب العضوية أيضا عدم النضج الكافى للأعصاب أو التشعيرات العصبية اللاإرادية فى جدار المثانة، وكذلك المراكز العصبية بالمخ والحبل الشوكى، فعلى ذلك فإن هذه الظاهرة لا تحتاج لعلاج سوى انتظار النمو الطبيعى والنضج لأجهزة الجسم بمرور الزمن، وكذلك مما يجدر ذكره فأن هذه الحالة كثيراً ما تكون قد مرت على أكثر من فرد من نفس العائلة (جانب وراثى).

ويجب فى كل هذه الحالات التأكد من خلو الطفل من أى مرض عضوى أولاً قبل أن تعالج الحالة على أنها نفسية.

- قد تكون من الأسباب أيضا بعض الأمراض الأخرى مثل الحساسية ووجود الديدان المعوية، أو حالات النقص العقلي الشديد.

- وكذلك يمكن أن يكون السبب اضطراب النمو، وقلق الوالدين بهذا الخصوص، والتدريب الخاطيء على الإخراج.

٤.العوامل الطبيعية:

فكل الأطفال الذين يتبولون لا إرادياً والذين تتراوح أعمارهم بين الخمس سنوات فما فوق يجب أن يخضعوا لفحص طبي للتأكد من سلامتهم وأنهم لا يشكون من أي مرض يسبب لهم هذا التبول، وكذلك يجب أن يخضع هذا البول للتحليل للتأكد من خلوه من التلوث. حيث نجد أن التلوث في البول معروف جداً عند الأطفال الذين يتبولون لا إرادياً أثناء الليل وخاصة الإناث منهم فيجب أن تتم معالجته في جميع الأحوال.

ونلاحظ أن التبول اللاإرادي لا يتم بسبب هذا التلوث وربما يظهر بعد أن تنتهي هذه الحالة.

- خلاصة القول: إن بدأ الطفل في التبول ليلاً في فراشه بعد أشهر من جفاف فراشه، يعتبر في هذه الحالة إذا «حالة التبول اللاإرادية الثانوية» نسبة للأطفال الذين لا ينقطعون عن التبول ليلاً منذ الولادة، وهنا نجد أن أسباب ذلك ربما تكون أسباباً صحية حيث يتم علاجها طبياً وتنتهي المشكلة بسهولة.

٥.تأثير الطعام.

هناك تأثير كبير على صحة الأطفال من الطعام الذي يأكلونه ويؤثر

بالتالي على الطفل ليتبول ليلاً، حيث نلاحظ أن عندما يتناول الطفل نوعاً معينا من الطعام يخف تبوله أثناء الليل، وكذلك نلاحظ أن البعض الآخر من الأطعمة يزيد من التبول ويضعف قدرته على منع هذا التبول، فيجب على الأمهات أن يلاحظن هذه الأطعمة ليتمكن من حذفها من نظام الطفل الغذائي وخاصة عند المساء.

ثانياً: الأسباب الاجتماعية التربوية:

تعتبر البيئة الاجتماعية التي يعيش فيا الطفل مسئولة إلى حد كبير عن مشكلة التبول اللاإرادى، فأخطاء الوالدين والمدرسين وغيرهم من الراشدين المهمين في حياة الأطفال هي التي تؤدى إلى تأخر بعض الأطفال عن التحكم في عمليات المثانة، وهي التي تؤدى إلى تأثير العوامل النفسية والجسمية التي تسبب التبول اللاإرادى.

إن الأسلوب الذى يتعامل به الأطفال أو يتعايشون معه ينعكس على ظهور بعض الاضطرابات مثل التبول اللاإرادى والنقاط التالية تعكس ذلك الأمر:

- وجود زميل متفوق يزيد مشاعر الغيرة لدى الطفل.
- وفاة شخص عزيز على الأسرة ممن كانوا يعتنون بالطفل.
- تقصير بعض الآباء في إكساب أطفالهم العادات الحسنة. وفي مشكلة التبول اللاإرادى ربما يرجع الخطأ إلى تقصير الأبوين أو عجزهما في تكوين عادة ضبط البول، وقد يعود الأمر أيضا إلى عدم مبالاة الوالدين بمراقبة الطفل ومحاولة إيقاظه ليلاً في الأوقات المناسبة لقضاء حاجته أو إرشاده للذهاب إلى الحمام قبل النوم.

- سوء علاقة الطفل بالأم الذى يعود إلى الأم ويضعف الرابطة بينهما بحيث يجعل تدريب الطفل على التحكم بعضلات المثانة أمراً صعباً.

- الاهتمام المبالغ فى التدريب على عملية الإخراج والتبول والنظافة، أو إتباع أسلوب القسوة والضرب من أجل أن يتعلم الطفل التحكم فى عملية التبول.

- الوقوف ضد النمو العضوى الطبيعى بالتسريع أو التعجيل بتكوين عادة التحكم أو السيطرة على التبول، وقد وجد أن حالات التبول اللاإرادى تنتشر بشكل أكثر لدى أطفال الأمهات اللائى يبكرن فى عملية التدريب ويعود ذلك إلى عدم فهم الأمهات لمراحل نمو الطفل واحتياجاته.

- المبالغة فى الحماية للطفل من قبل الأم والمبالغة فى التسامح والتساهل أو الصمت عندما يحدث التبول اللاإرادى من قبل الطفل، فالطفل ربما يفسر الحنان أو التراضى كنوع من الإهمال.

- يخطىء الوالدان والمدرسون عندما يدللون الطفل، ويبالغون فى تلبية رغباته، مما يجعله ينمو هشّاً ضعيفاً، متعوداً على الأخذ دون العطاء، اتكالياً يعتمد على غيره فى كل شىء، لا يقوى على تحمل الإحباط.

- يعتقد الوالدان أن تأخر طفلهما فى التحكم فى عمليات المثانة وراثى ويدللون على ذلك بتأخر بعض إخوان وأقاربه، فيهملان فى علاج المشكلة فى الوقت المناسب، وقد يسمع الطفل هذا التفسير فيشعر بأن

تبوله اللاإرادى محتوم عليه، ولا أمل فى التخلص منه، مما يساعد على استمرار المشكلة عنده مدة طويلة.

- التفكك الأسرى وفقدان الطفل للشعور بالأمن مثلما يحدث فى حالات ترك أحد الوالدين المنزل أو الطلاق أو وجود أب بديل أو أم بديلة غير مناسبة أو كثرة الشجار بين الوالدين أمام الأطفال.

- عدم الإعداد السابق للذهاب إلى المدرسة، أو تكوين فكرة مخيفة عن المدرسين لدى الطفل.

ثالثا الأسباب النفسية:

لقد تعددت الأسباب النفسية لمشكلة التبول اللاإرادى ومنا ما يلى:

- خوف الطفل: مثل الخوف من الكائنات الخيالية المرتبطة بالظلام، والخوف من بعض الحيوانات والجثث والموتى والخوف من الشجار داخل الأسرة أو الصور المرعبة فى الأفلام، وربما جاء الخوف من فقدان الرعاية والاهتمام نتيجة وجود أو قدوم مولود جديد، كذلك الخوف من فقدان العضو الذكرى (لدى الذكور) بعد اكتشاف الطفل غياب هذا العضو من الإناث، ويصبح تبوله تخفيفاً من الصراع بتأكيد عدم فقدان عضوه الذكرى.

- غيرة الطفل: كالغيرة من المولود الجديد، والذى يمثل له مصدر أو سبب فقدان المحبة والرعاية. وقد يدفع ذلك الطفل الغيور إلى النكوص. ومن الأشكال الأخرى للغيرة، الغيرة من أحد الأبوين على الطرف الآخر، حيث يجد فيه منافساً له فى حبه واجتناب عطفه وعنايته، كذلك قد

يغار الطفل من أخ له أصغر أو أكبر منه حباه الله بالوسامة أو بموهبة لا يتمتع هو بها، ويزداد شعوره بالنقص كلما أشار الوالدان أو غيرهما لهذه الموهبة أو لصفة الوسامة التي يتميز بها الأخ.

- الشعور بالحرمان العاطفي: إما بسبب غياب الأم أو موتها، أو الانفصال بين الوالدين، وهذا ما يجعل التبول اللاإرادي يظهر بوضوح لدى أطفال مؤسسات رعاية الأيتام ودور الرعاية الاجتماعية.

- عقب شفاء الطفل من مرض كان في أثنائه محور اهتمام أهله. فعندما يشعر الطفل باختفاء درجة الاهتمام بعد شفائه يسعى لاكتسابه من جديد بشتى الوسائل ومنها التبول اللاإرادي.

- الإفراط في الرعاية: إن المبالغة في رعاية الطفل وحمايته تنمي عدم ثقة الطفل في الاعتماد على نفسه في إنجاز المهام وعدم تحمله مسئولية التصرفات السلبية مثل التبول اللاإرادي.

- الاكتئاب: وهنا فإن علاج الاكتئاب ببعض الأدوية عن طريق الطبيب المعالج يسبب اختفاء التبول اللاإرادي لدى هذه الحالات.

- مشاعر الذنب: إن مشاعر الذنب بالتبول المرتبطة تدخل الطفل في حلقة مفرغة من القلق تؤدي إلى تثبيت التبول اللاإرادي. فقد تبين أن المعايرة واستعمال ألفاظ التحقير بسبب البوال كثيراً ما تبعث في الطفل حالة من القلق الذي يأخذ صورة الحساسية الزائدة بالنفس "SeIf ovoer conscioushes" لدرجة أن بعض الأطفال البواليين ذكروا صراحة ،أنهم يخافون من الذهاب إلى المدرسة خشية أن يشم التلاميذ

رائحة الملابس فيعيرونهم بالبوال، وكان هذا الخوف هو نقطة بداية للقلق الذي ينعكس في صورة من الخوف من المدرسة كمخرج لتوتر الشعور بالذنب بسبب البوال.

- التخلف العقلي: يعتبر التخلف العقلي من العوامل التي لها علاقة بالتأخر في ضبط عمليات الإخراج عمومًا، وفي ضبط عمليات المثانة بصفة خاصة، فنسبة من يعانون من مشكلة التبول اللاإرادي بين المتخلفين عقليا أكبر منها بين الأطفال العاديين والأذكياء وقد يرجع هذا إلى أن المتخلفين عقليا يعانون ضعفا عاما في التحكم العضلي وأمراضاً أخرى جسمية، وتأخر في النمو الانفعالي والنضوج الاجتماعي وأيضا يعانون من الإحباط وعدم الأمن، وعدم الثقة في البيئة أكثر من العاديين والأذكياء.

وهذا يؤكد أن انخفاض الذكاء ليس سببا مباشرا للتبول اللاإرادي إنما هو سبب غير مباشر، لا يؤدي إلى التبول اللاإرادي إلا إذا تفاعل مع عوامل جسمية ونفسية واجتماعية لها علاقة بالمشكلة يزيد ذلك أن بعض حالات التخلف العقلي الخفيف التي لا تعاني من أمراض جسمية أو مشكلات انفعالية، تتحكم في عمليات المثانة في السن العادي ولا تعاني من مشكلةالتبول اللاإرادي. كما أن الدراسات تشير إلى أن متوسط نسب ذكاء الأطفال الذين يعانون تبولاً لاإرادياً مساويا تقريباً لمتوسط ذكاء الأطفال الذين يتحكمون في عمليات المهانة في السن العادي. فالتبول اللاإرادي لا يدل على انخفاض مستوى الذكاء، ولا يدل انخفاض مستوى الذكاء على حتمية التأخر في ضبط عمليات المثانة.

بالإضافة إلى الأسباب سالفة الذكر - ذكر عددا من الباحثين الأسباب التالية:

- أن هناك ما يسمى بالبوال الانتقامي ومرده إلى تعاسة الطفل في أسرته، فيعتبر البوال هنا بمثابة تعبير لا شعوري عن السخط المكبوت على والدته.
- الخلافات الوالدية التي تؤدي إلى الشعور بعدم الاستقرار النفسي عند الطفل.
- المعاملة الخاطئة من قبل الوالدين تجاه الطفل، وعدم الاهتمام بالطفل كما ينبغي.
- اللذة أو الاستمتاع بالدفء الذي يعقب عملية التبول أثناء الليل مما قد يزيد من استمرار هذا السلوك الخاطئ.
- الانتقال بين المراحل: فانتقال الطفل من مرحلة إلى أخرى قد يكون سببا في هذه المشكلة - حيث تتطلب تلك المرحلة الجديدة سلوكا جديدا يجد أنه من الصعب التكيف معه فتظهر لديه مثل هذه الحالة كما يحدث عند بعض الأطفال لدى ذهابهم للمدرسة لأول مرة.
- الاهتمام الزائد بالطفل وعدم افساح المجال لإظهار ثقته بنفسه والمبادرة إلى التبول دون الاعتماد على الأم أو الأخوة الكبار لمرافقته إلى الحمام.
- وتتسع مشكلة التبول اللاإرادي لتشمل مشكلة تعلم الطفل عادات النظافة - هذه المشكلة الشائكة ذات أهمية عظمى لا يدرك معظم الآباء والأمهات أهميتها.

من أجل ذلك يجب ألا يترك الطفل بعد العشى ليبول أينما يشاء وكيفما يشاء وساعة ما يشاء.

فلابد من تعلم عادات التبول المنتظمة ولو اضطر الأهل لمرافقته إلى الحمام.

- كثرة النقد الشديد للطفل مما يجعله ميالاً فى اللاشعور إلى الانتقام.

وما يجب أن تعلمه الأمهات أن ضبط المثانة مسألة فسيولوجية تحتاج لوقت معين للنمو وضبطها يحتاج إلى التدريب والتنظيم بعيدا عن العنف الذى يولد التوتر الذى بدوره يؤثر على عملية التبول والإخراج.

- إهمال تدريب الطفل وتركه لينقطع عن تبال فراش وملابسه من تلقاء نفسه، ويقترن ذلك بمعظم الآباء الذين يهملون إيقاظ الطفل ليلاً من نومه وفى أوقات معينة للتبول.

- المعاملة القاسية التى يلقاها الطفل من قبل القائمين على تربيته، فارتباط هذه المشكلة بالمعاملة القاسية أمر مثبت حيث يرد الطفل عليها - بطريقة لا شعورية بشكل انتقامى وغالبا ما تكون هذه المشكلة سببا فى وقف الكثير من نشاطات الطفل الذى يمنع من زيارة الأقارب والاشتراك فى الرحلات أو المخيمات التى تستلزم المبيت خارج المنزل، فيمنع الطفل بسبب المهانة والفضيحة حسب زعم الأهل وهذا ما يجعل أمره يزداد سوءا ويسبب له آلاما نفسية حادة تضاف إلى جملة مشاكله النفسية الأخرى.

- عدوانية الطفل تجاه والديه، فقد يظهر الطفل سلوكا عدوانياً يتمثل فى

التبول اللاإرادى كوسيلة للتعبير عن التمرد أو نتيجة صراعات يعانى منها بسبب التدريب على الضبط.

وفى بعض الحالات ينجح الطفل فى ضبط نفسه فى سن مبكرة ولكن لسبب عارض قد يحدث أن يتبول الطفل وهو نائم فى سن متقدمة بعد أن يكون قد مر فى سنوات عديدة دون أن يتبول..

وقد يكون السبب العارض انفعاليا مثال ذلك - أن الطفل قد نجح فى تكوين عادة ضبط الجهاز البولى فى سن الثانية، وأريد إزالة لوزته لتضخمها فى سن السابعة.

وفى مساء اليوم الذى تقرر فيه إجراء العملية - نجده يتبول فى أثناء نومه..

وواضح أن التبول اللاإرادى فى هذه الحالة مرتبط بحالة الخوف الطارئة على ذهن الطفل.

وهنا ينبغى على الآباء ألا يعيروا حادثة واحدة من حوادث التبول من الاهتمام ما قد يثبتها فى ذهن الطفل ويشعر بالذنب وبالنقص بسبب هذا الحادث البسيط - ولكن الذى يستدعى الاهتمام - التبول اللاإرادى المتكرر بعد سن الرابعة والخامسة - وقد يستمر البعض إلى سن العشرين.

- (وهناك حالات أخرى يبال الطفل فيها فراشه بسبب عوامل نفسية لا شعورية غير تلك التى ذكرت سالفا فهناك مثلا الطفل الذى كان مصابا ببال الفراش وتبين أثناء العلاج النفسى أنه يتأثر بهذا لا شعوريا من

زوجة أبية حتى يتسبب فى مضايقتها واضطرارها لتغيير الفراش يوميا مما يصاحب ذلك من متاعب ومضايقات.

- وهناك أيضا حالة ذلك الطفل الذى كان تبوله فى فراشه يشير إلى رغبة لا شعورية فى أن يظل طفلاً صغيراً فى المهد ومن ثم يلقى نفس العناية التى كان يلقاها وهو صغير والتى يتمتع بها غيره الآن.

رأينا إذن أن هناك العديد من الأسباب والدوافع التى تؤدى إلى تبول الطفل لا إراديا وأن هذه الأسباب ذات الأصول النفسية قد تكون راجعة إلى مخاوف معينة بسبب عقاب وقع على الطفل أو من المنتظر توقيعه عليه أو بسبب القسوة الزائدة فى المعاملة أيضا ما يهدد كيان الطفل وشعوره بالأمن - قد يكون راجعا إلى ألوان من الحيل الدفاعية تقييمها النفس إزاء مواقف تواجهها وليس بقادرة على أن تتكيف معها فتلجأ إلى هذه الحيل الدفاعية لتحقق نوعا من التكيف وإن كان على مستوى غير سوى إلا أنه يحل الموقف القائم. كما نرى فى حالة الطفل الذى لجأ إلى النكوص والارتداد إلى مراحل من الطفولة المبكرة يتبول فيها فى فراشه كما كان يفعل وهو صغير ليحصل على امتيازات معينة وليجتذب عطف الآخرين واهتمامهم وهذه العمليات الدفاعية إنما تتم بطبيعة الحال بصورة لا شعورية. ويقوم المعالج النفسى فى كل هذه الحالات بالكشف عن العوامل التى دفعت بالطفل إلى موقفه القائم ثم مساعدة الوالدين والطفل على تناولها ومواجهتها حتى يمكن السير بالطفل نحو طريق الشفاء.

(هناك طفل فى السابعة من عمره عانى كثيراً من التبول اللاإرادى ثم

تحسنت حالته نوعاً ما ثم عاودته فجأة هذه الحالة مرة أخرى وقد اكتشفت بعد عدد من زياراته أن هذه الحوادث الليلية ظهرت فى الوقت الذى أجبره فيه أخوه الكبير على أن يكتم بعض الأسرار فقد ذهبا سويا إلى السينما - دون موافقة والده - فيلم من أفلام الرعب وقد اختفت كل هذه الأعراض عندما اكتشف السبب الدفين وراءها وقد كان من المشجع على ذلك أن والداه لم يصحبا هذا الاكتشاف بعقابه أو توبيخه) .

- (وهناك فتاة فى العاشرة من عمرها تعمد إلى التبويل ليلاً حتى تتعب أمها فى قضايا الغسل والتنظيف والبحث الطبى اكتشف حب الفتاة لوالدها وكرهها لأمها.

- وهناك ولد فى الخامسة من عمره كان نظيفاً منذ عمر السنة والنصف وذلك ليلاً ونهاراً لكنه عاد بعدها إلى التبويل فى الفراش ليلاً ومن البحث اكتشف وجود أخ له أصغر يغار منه أو يخاف من فقدان الاهتمام وحب والديه له.

مثال آخر:

طفل فى السادسة من عمره اعتاد أن يبلل فراشه يوميا، وكان يتحمل الغضب والإذلال من ولديه نتيجة خطئه هذا، ولقد حرمه أهله من النوم فى سرير كبير حيث أنهم اشتروا لأخوته أسرة جديدة وتركوه فى سريره الصغير والسبب فى كل هذا أن هذا الطفل يبلل فراش فلا مجال لشراء سرير جديد وأغطية جديدة له لأنه لا يستحقها لقد اعتاد هذا الطفل على التبول ليلاً منذ أن بلغ الثالثة من عمره واستمر حتى بلغ السادسة.

كان نتيجة هذه المشكلة عقاب دائم للطفل أمام كل الناس الذين يعرفون هذا الطفل، من جيران وأصحاب وأهل وبينهم طبعا إخوته ورفاقه، حتى شعر بالذنب والمذلة وبات انطوائيا خجولاً. كل هذا العقاب لم يؤدى إلى نتيجة إيجابية بل على العكس تماما كانت حالته تزداد سوءا.

لذلك قرر أهل هذا الطفل الاستعانة - لحل هذه المشكلة- بأحد الأطباء الذى درس حالة هذا الطفل وتبين له أن والده كان يشكو من نفس الحالة عندما كان فى سنه.. وبلغ العائلة والصبى أن هذه المشكلة موجودة عند كثير من الناس وليس هذا الطفل فقط وأنه ليس الوحيد فى هذا العالم الذى يواجه مشكلة التبلل ليلاً. وبعد فترة، أى بعد أن تفهم الأهل لهذا الوضع أحسنوا تعاملهم معه وادركوا أن هذه المشكلة بالإمكان حلها. وبعد أن اقتنع الطفل أن والده الذى يحبه كثيرا ويجده مثله الأعلى كان يشكو من نفس المشكلة تحسن تدريجيا حتى شفى نهائيا بعد فترة من الزمن.

نجد فى الأمثلة السابقة أن الأهل فى هذه المشكلة دورا رئيسيا، وأحيانا قد يكون دور الأهل أقل تأثيرا فإن وجدت المشكلة فليس دائما سببها الأهل، رغم هذا نجد أن الطفل صاحب هذه المشكلة يجد نفسه فى وضع لا يحسد عليه فى التعاسة وعدم الراحة نتيجة لهذا الهم وهذه المشكلة التى يواجهها.

مثال آخر:

طفلة فى الخامسة من عمرها كانت تنشئة البنت ميسورة حتى سن الثانية، لكنها بدأت فجأة تبلل ملابسها وتلوث ثيابها خلال النهار الأمر الذى بعث فى أهلها الأسى واليأس.

وكشفت دراسة الحالة أن سلوك الطفلة قد يكون استجابة لغيرتها من أخيها الصغير الذى يبلغ من العمر خمسة عشر شهرا. وقد أيد هذا الظن ما أشار به من أساليب العلاج الذى قام بها المعالج على إفهام الأبوين إن الطفلة قد أهمل أمرها نوعا ما منذ مجيء الوليد الجديد، وعلى ضرورة تكليف أخته ببعض المسئوليات المعينة للعناية به. واختفت المشكلة تماما بعد أسبوع واحد.

إذن فيبقى دراسة كل حالة من الحالات بمفردها، وأن يقوم بهذه الدراسة شخص متخصص يجيد معرفة حياة الأطفال العقلية، لكنه إذا لم يوجد مثل هذا الشخص فليس هناك ما يدعو إلى التقاعس واليأس إذ أن كثيرا ما تؤدى دراسة الموقف فى جملته دراسة الطفل وبيئة والناس الذين يتصل بهم - إلى ظهور سبب واضح جدا للمشكلة سوف يدهش الآباء منه لأنه لم يخطر لهم من قبل على بال.

وكثيرا ما نقصر النظر على المشكلة القائمة وما فيها من مضار وما تبعثه من ضيق، ونحن غافلون كل الغفلة عن السبب الرئيسى الذى أدى إلى نشوئها.

وعلى العموم فإن هناك ما يشبه الاتفاق على أن ٥٪ من حالات التبول تعود إلى أسباب غامضة نفسية وقد أثير سؤال مضاد، هل تختلف شخصية المصاب بالتبول عن شخصية الآخرين؟ بمعنى هل له شخصية مميزة عن الآخرين.

يؤكد معظم الباحثين أنه يمكن القول بكل ثقة وطمأنينة أنه لا توجد شخصية ذات سمات معينة أو مشكلات سلوكية معينة تطبع المصاب

بالتبول اللاإرادى وتميزه عن غيره، فمعظم الأطفال الذين يبولون فى فراشهم لا يظهرون سلوكا باثولوجيا هاما يشد الاهتمام والتمييز، وعندما يكون هناك مشكلات سلوكية وانفعالية تصاحب التبول اللاإرادى يصعب الوصول إلى استنتاجات سببية وإنما هى ارتباطية فقد تكون هذه المشكلات نتيجة التبول اللاإرادى أكثر من كونها سببا، وقد أوضحت نتائج الأبحاث التى تناولت شخصية الطفل المصاب بالتبول اللاإرادى أنه لا يوجد نمطا من الشخصية بجميع الأطفال المصابين بالتبول؛ إلا أن هناك عاملان يؤثران على الأطفال المصابين بالتبول اللاإرادى هما:

.الاعتمادية العاطفية:

يظهر فى شكل سلوك من التعمق أو التشتت الزائد بالوالدين وخاصة الأم، مع فقد فى العلاقات الاجتماعية مع أطفال فى نفس السن.

.العدوانية:

حيث يعبر عنها الطفل بأشكال الطفل المعارض أو السلبية.

ويعتبر سوء التوافق الشخصى سببا رئيسياً للتبول اللاإرادى فإصابة الطفلة بالقلق والخوف لعجزها عن مسايرة طموحها فأنها تقوم ببلل فراشها كعمل إيجابى تتخيل فيه أنها ذكر وتتبول كالذكر. وهذه الشخصية غير المتوافقة قد ترفض الأنوثة والزواج فى سن الرشد أو النضج وتنمو ولديها جنسية مثلية.

أما إصابة الولد بالمخاوف العديدة فهو يميل إلى السلبية والعزلة وعدم تحمل المسئولية ويلقى مسئولية البلل على الآخرين كما يحاول فى سلوكه

واستجاباته وأحلامه أن يكون بنتا ولا ولدا. وبسبب خوفه من أمه فهو يخاف أن يحبها أو يحب آية امرأة أخرى.

وتلعب كذلك كثرة الخلافات الوالدية وما تؤدى إليه من قلق الطفل وعدم شعوره بالأمن والاستقرار دورا كبيرا فى مشكلة التبول اللاإرادى، الأمر الذى يسبب للطفل الفشل الدراسى وعدم الثقة فى نفسه والضياع والضعف، ومن ثم يلجأ إلى التبول اللاإرادى ليجذب انتباه الوالدين واهتمامهم ويعبر لهم من خلاله عن مدى احتياجه لهما..

فالمجال الذى يعيش فيه الطفل أحيانا ما يفقده الشعور بالأمن ويزيد من قلقه ويظهر قلقه بصور عديدة أحدها التبول أثناء النوم. وأحيانا ما تصاحبه حالات من التهتهة. كما يتصف الطفل معها أحيانا بالجبن وضعف الثقة بالنفس وتكون أحيانا مصحوبة بالميل الشديد إلى التخريب ونوبات الغضب والعناد. ومن أهم أسباب التبول أيضا اعتماد الطفل على أمه أو حاجته للالتجاء إليها. ففى كثير من حالات التبول نلاحظ اعتماد الطفل على أمه، فهى تطعمه وتلبسه وتقوم له بكل صغيرة وكبيرة. والتبول هنا قد يكون حيلة لا شعورية تساعد على تحقيق ما تشتاق إليه نفس الطفل مما تعوده. وفى الحالات التى يكون فيها الأب قاسيا على الطفل يكون الطفل فى حاجة إلى الالتجاء إلى الأم. والتبول قد يأتى والأم قريبة منه. وتبدو هذه الحالة لدى الطفل الوحيد أو الطفل الأخير أو الطفل الذى يمرض كثيرا وهو صغير، فمثل هؤلاء الأطفال يلقون عناية زائدة من الأم، وعندما يكبر الطفل يبدأ فى فقد هذا الامتياز تدريجيا، ولكنه لا يقوى على فقده فتزداد حالته سوءا فيلجأ إلى بعض الحيل اللاشعورية التى تقرب منه الأم ومنها التبول

اللاإرادى. والمهم هنا أن نذكر ضرورة تحرير الطفل تدريجيا من الاعتماد على الأم فى أغلب أموره بما فى ذلك التبول. والتبول اللاإرادى بالصورة التى أوضحناها ما هو إلا حيلة لاشعورية. تسمى النكوص أى الرغبة اللاشعورية فى العودة إلى حالة الطفولة التى يتمتع فيها الطفل برعاية الأم. فقد تبين من نتائج دراسة حالات التبول اللاإرادى التى أرسلت إلى العيادات النفسية أن ٥٠٪ منها يرجع إلى فقد الطفل عطف الأم ورعايتها لها وأن لديه حاجات قوية لاسترجاعها..

رابعا. الأسباب الوراثية:

إن الوراثة تلعب دورا هاما فى تسبيب التبول اللاإرادى عند الأطفال. حيث نجد أن معظم الأطفال الذين يواجهون هذه المشكلة كان أحد والديهم يعانى منها وبالإحصاء تبين أن ٤٥٪ من الأطفال الذين يعانون من هذه المشكلة لديهم أحد الوالدين الذى كان يعانى منها عندما كان بعمره و٧٥٪ من الأطفال الذين يتبولون ليلاً هم أطفال لآباء وأمهات كانوا يعانون من المشكلة ذاتها، أى أن كلا الوالدين كان يعانى من مشكلة التبول أو أحدهما وأن ١٥٪ من الأطفال الذين يعانون من هذه المشكلة لا أحد من والديهم كان يعانى من هذه المشكلة.

وهناك نظرية تفترض أن إفراز هرمون الغدة النكافية المسئولة عن تركيز البول يقل إفرازه أثناء الليل ويستدل أنصار هذه النظرية أن هناك نسبة كبيرة من المرضى تستجيب لمضادات هذا الهرمون.

وقد تكون هذه الظاهرة (التبول اللاإرادى) متأصلة فى العائلة أثناء

طفولتهم حيث ينام الأطفال نومًا عميقا ومن الصعب إيقاظهم حتى أنهم يستمرون فى النوم بعد أن تصبح ملابسهم وأسرتهم مبتلة، هنا يمكن القول بأن للوراثة دخل كبير فى كل هذه العوامل، كما يكون لها دخل فى تأخر الطفل فى اكتساب عادات التبول الصحية.

وخلاصة القول:

ليس من السهل إرجاع حالة التبول اللاإرادى إلى عامل واحد فقط - كظهور مولود جديد فى الأسرة أو تفضيل أحد الأطفال فى الأسرة على صاحب الحالة أو وفاة عزيز أو غير ذلك - بل نجد عادة أنه يترتب على تغير الجو الذى يسود البيئة التى يعيش فيها الطفل مثل فقده ثقته بنفسه، وخوفه على مركزه، مما يسبب له أحلاما مزعجة فى الليل يصحبها فقدان القدرة على التحكم فى ضبط عضلات الجهاز البولى.

obeikandl.com